Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 6, Special Issue 1, 2023

Deanship of Scientific Research

Ideological Alienation in the Novel "Women of the Moon" by Jokha Al-Harthi

Aysar Mohammed Fadhil Al-Dbow**, Jassm Mohammed Abbaes

Department of Arabic, College of Arts, Anbar University, Anbar, Iraq.

Received: 11/1/2023
Revised: 15/8/2023
Accepted: 31/10/2023
Published: 30/12/2023

* *Corresponding author:*
art.aldbow@uoanbar.edu.iq

Citation: Al-Dbow, A. M. F., & Abbaes, J. M. (2023). Ideological Alienation in the Novel "Women of the Moon" by Jokha Al-Harthi. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(6), 35–44.
https://doi.org/10.35516/hum.v50i6.7033

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: The research aims to investigate ideological appropriation embedded within implicit structures, revealing societal ideologies and the role of women.

Methods: To achieve its objective, the research adopts an analytical descriptive cultural approach rooted in the text, employing various analytical functions, to elucidate what remains marginalized within this dominance. It involves utilizing text archaeology and establishing a network of relationships between the text and society at various levels and linking them to the hypotheses of ideological appropriation.

Results: The study highlights the role of ideology in appropriation, the state of exclusion, subjugation of the oppressed self, and the appropriation of consciousness. This occurs at a moment when the novelist attempts to provide an alternative by constructing awareness and an independent self that preserves the values and customs of society in which values are not lost, and morals are not appropriated by the occupying colonizer. The events in the novel unfold implicitly in two directions: the quest for the self-appropriated by the male other, and the lost identity appropriated by the colonizer.

Conclusions: The study seeks to uncover the various concepts of ideological appropriation, defining its concepts, forms, and hidden implicit patterns which take three directions: the ideological, representing the core focus of appropriation and the exclusion of thought and self-expression; the self-appropriation, symbolizing the stage of self-denial and the appropriation of being; and cultural appropriation, which assumes the most oppressive direction by ensnaring individuals in a spiral of ignorance and cognitive impoverishment, as evident in the concept of domination.

Keywords: Alienation, ideological, novel, Jokha.

الأستلاب الأيديولوجي في رو اية «سيدات القمر» لجوخة الحارثي

أيسر محمد فاضل*، جاسم محمد عباس

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الأنبار، الأنبار، العراق.

ملخّص

الأهداف: يهدف البحث لدراسة مفهوم الاستلاب الايديولوجي القابع في النسق المضمر بالكشف عن أيديولوجيات المجتمع فضلًا عن بيان دور المرأة فيه، فالاتكاء على النسق كان بيانًا للمسكوت عنه بلغة الإيحاءات والإضمار في بناء الرواية.

المنهجية: إتبع البحث المنهج التحليلي الوصفي الثقافي الذي ينطلق من النص ويستقي مختلف الوظائف التحليلية للكشف عن أهداف البحث ولا سيما بيان ذلك المهمش من هذا التسلط، وهو منهج يقوم على الاستعانة بحفريات النص وإنشاء شبكة من العلاقات بين النص والمجتمع تتمثل في مستويات مختلفة (ثقافية ودينية وسياسية) ومن ثمَّ ربطها بفرضيات الاستلاب الآيديولوجي.

النتائج: تبين في نهاية المطاف الدور الذي مارسته الآيديولوجيا على الاستلاب وحالة الإقصاء والتبعية للذات المقهورة واستلاب الوعي في لحظة تحاول فيها الروائية طرح البديل ببناء وعي وذات مستقلة محافظة على قيم المجتمع وعاداته، لا تنفلت فيه القيم وتُستلب الأخلاق من المستعمر المحتل لتبقى أحداث الرواية تسير بنسق مضمر يتمثل في اتجاهين أولهما البحث عن الذات المستلبة من الآخر الذكوري ثم الهوية الضائعة والمستلبة من المستعمر.

الخلاصة: تنهض الدراسة في الكشف عن مفهوم الاستلاب الايديولوجي ومفاهيمه المختلفة، وتحدد مفاهيم هذا الاستلاب واشكاله وما يخفيه من أنساق مضمرة، وتوزعت اتجاهات هذا الاستلاب على اتجاهات ثلاث أولهما الإيديولوجي الذي يمثل البؤرة الأساسية للاستلاب وإقصاء التفكير والتعبير عن الانا ثم الإستلاب الذاتي الذي يمثل مرحلة إنكار الوجود وإستلاب الكينونة ليأخذ الاستلاب الثقافي الاتجاه الأكثر قهر في جعل الانسان يعيش دوامة الجهل والفقر المعرفي وهو ما نجده في مفهوم التسلط.

الكلمات الدالة: الاستلاب، الآيدلوجي، رواية، جوخة.

المقدمة:

إنَّ البحث في الأدب النسوي يحمل في طياته الكثير من الاهتمام، فقد أخذ هذا الأدب حيزًا واسعًا وشغل الساحة الأدبية بما أنتجته من ألوان مختلفة من الفن، ولعل الأدب النسوي العربي لم يكن يغرد خارج السرب، فغالبية المبدعات العربيات تركن بصمة واضحة، ولا يغادر موضوع الاستلاب الأيدلوجي المرأة الهامش التي تقبع في سلطة تكاد تختفي في زحمة المجتمع الذي تعيشه،سيما تمثل الجانب الأضعف فيه بهذا التصور يمكن ان نقرا النصوص النسوية التي جاءت في معظمها " مكسرة لحاجز الصمت، مثبتة مدى قدرتها على الأبداع والإنتاج والمجابهة، متحدية الهيمنة الذكورية التي كبلتها لسنين طويلة... " (صورية، 2016، 57-58).

من هنا شكلت مفهوم السلطة بمختلف صورها عقدة للأبوة المطلقة بعدّها السلطة او الثقافة المركزية، فجاء الأدب النسوي يحمل في مكنونه الرفض لتبني هذا المصطلح أو أن يطلق على نتاجهن الأدبي هذه التسمية؛ لإنَّ فيه استلاب لكينونة الذات ولأدلجة الوجود، تقول لطفية الزيات " لقد رفضت دائمًا التمييز بين الكتابات النسائية وكتابات الرجال رغم شعوري بان النساء والرجال يكتبون على نحو مختلف الذي املى عليَّ هذا الموقف هو خوفي من ان مثل هذا المصطلح سيلعب دورًا في ابقاء الاعمال النسائية في الدرجة الثانية في الادب تمامًا كما تم الابقاء على المرأة في الدرجة الثانية في المجتمع والحياة " **(شعبان،1999م، 24)** وربما تكون وجهة نظر الكاتبة صحيحًا فيما يخص تجنيس الأدب وجندرته -إذا صح القول – من خلال وضعه بخانة ثانية بعد الأدب الذكوري، وتطالعنا الكاتبة الدكتورة هند أبو شعر بموقف مشابه للطيفة الزيات فتقول: " اكره السؤال عن ادب نسوي لان ذلك يعني، انهم يرسمون حولي دائرة طباشيرية ولا يسمحون بتجاوزها، وان عليَّ الكتابة عن المرأة ولا شيء غير المرأة (أبو شعر، 1997م، 8)، ويبدو أن وجهات نظر الكاتبات العربيات نابع من تقسيم الأدب إلى مراكز، ويأتي ثانيًا الأدب النسوي الذي يرفضنه، فمدار الأمر كله إذن ليس في التسمية ولكن فيما تحمله من مفارقات على مستوى الإبداع، وتأسيس همينة المركز على الهامش.

البحث عن الايديولوجيا هو بحث عن نظام فكري " يرتبط بالنص الكبير للإيديولوجيا وأشكال العلاقات الإنسانية والاجتماعية في بنيته الداخليه..." (بلحسن،2016، 66) وهذا ما يجعل من الأيديولوجي منطلقًا واقعيًا، فالرواية تعالج مشكلة إجتماعية واقعية تربط علاقة الذات بالآخرين وهذا العلاقات هي الشرارة الأولى في تحقيق الأيديولوجية فهي " نتاج فكري معرفي شامل، ينطلق من الفرد الذي يمثل اللبنة الأساس في تشكيل الفكر الاجتماعي، وتتأسس على خلفيات لورتها جدلية التاريخ والواقع... " (السعيد، 2013، 142)، وإقتران الأيديولوجي بالمستلب – كما في الرواية - هو بمثابة الحديث عن البعد الجمالي والفني الذي يمنح الرواية طاقة فنية عالية، ينشئ المبدع عالمه الخاص من خلال بناء ايديولوجي يصور لنا ذاته ورؤيته بكل ما تحمله من تمثلات للواقع وإنعكاس ذلك على بعديه النفسي والفني، إنّه تصوير اليوتيوبيا بعالم خاص بعيد عن الواقع وتمثلاته الدستوبية، فالاستلاب من المفاهيم التي لها حضور في الخطاب العربي المعاصر، وتعود دلالة المصطلح إلى الأصل اللاتيني (alienation)، وعلى الرغم من تقاربه مع الأصل الانكليزي(alienatio)، فإننا لا نظفر بتعريف موحد لهذا المصطلح بسبب اختلاف وجهات النظر وتعدد دلالاته الفلسفية، ويعد الاستلاب من اخطر المفاهيم والمصطلحات لارتباطه بمفاهيم معقدة تحيل أحيانًا إلى بعد تداولي فتحولت الكثير من الثوابت إلى أشياء ممكن أن تزعزع بكل يسر وسهولة، فالاستلاب هو القهر والإغتراب القسري الذي يعيشه الانسان وهو ليس نوعًا واحدًا بل هو على إتجاهين الأول يقضي هو الإستبداد والعبودية في حين يشكل النوع الثاني: الإستلاب الطوعي الذي يعني التضحية والتنازل والتخلي (ينظر: الجبار، 2018، 51).

إنَّ الحديث عن رواية سيدات القمر للروائية العمانية (جوخة الحارثي) يحتم علينا النظر في الغاية التي انبثقت منها الرواية كونها رواية ايديولوجية بإمتياز،ثم بيان قدرة الروائية وكيفية معالجتها السردية من خلال المعنى الذي يتطلب فهمه تجريده من بنائه النصي المباشر، والتركيز على الآليات السردية والتقنيات النصية التي وظفتها الكاتبة في هذه الرواية تُعدُّ مستوعبًا مهمًا للأفكار ووجهات نظر الكاتبة في المجتمع العماني، فهي محاولات " لفتح منافذ جديدة لرؤية الواقع ومعالجة كل ما يحيط به " (حسين وآخرون، 2020، 356) فقد كانت الرواية أشبه بآلة تتنقل بالقارئ بين زمن وآخر عابر للمعقول، بين الماضي والحاضر ولكنك لا تشعر بالفجوة، فهي تحمل معها عنصر التشويق الذي ينتظره القارئ الشغف، فالروائية عكست صورة المجتمع العماني من العادات والتقاليد الثابتة والأصيلة فضلًا عن بيان دور الاستعمار في زرع بذور التشظي والفرقة، " هنّ سيّدات القمر، تعطهنّ جوخة السيادة وتنسهنّ للقمر. ماذا يمكن أن تحمل هذه الإضافة بركنيها من معنى؟ تجرؤ جوخة أن تصف نساء يتعرّضن لهيمنة مركّبة في حقبة زمنية حرجة من تاريخ عمان بالسيادة. هذه الهيمنة تتأتّى من سلطتين تواجهان نساءنا في الرواية؛ سلطة داخلية وهي طبقيّة، جنسويّة، ذكورية، وأخرى خارجية متمثّلة في قوى الاستعمار. تكالب السلطتين يجعل منهنّ تابعات يصعب تصوّر أن تحقق إحداهنّ حياةً تشاؤها، إلا أنَّ جوخة أرادت أن تتحدّث معهن، أن تجعل لهنّ حضورًا وتستعيد أصواتهنّ المسلوبة ليتحدّثن هن كذلك عن تجاربهنّ المتباينة من خلال صوتها هي، الذي تذيبه في السرد أحيانًا لتعلو أصواتهنّ" (الشمري، 2019)، وفي كل الأحوال تختفي الذات هنا مع الاستلاب لإنّها تذوب مع الذوات السلطوية التي تمنع من تحقيق الأنا بالوجود، فالاستلاب كما يرى اندري لا لاند " هو الذي لا يملك ذاته " (نقلا عن عويدات، 2001، 43).

تدور أحداث الرواية في قرية(العوافي)، فالكاتبة تحاول رسم ما أصاب المجتمع العماني خلال قرن من الزمن من تحولات بدءًا من الدولة وانتهاءً بالأسرة العمانية ولا سيما حياة المرأة، فهنالك ثلاث نسوة مرت حياتهن بمراحل من التغيير والتبدل والتحول وهن شقيقات محافظات خلال وفي أثناء

جلاء الاحتلال عن عُمان، وكما ذكرنا سلفًا أنَّ الرواية تبين تلك التحولات بين الماضي والحاضر، ثم توضح الكاتبة خلال هذه الرواية مدى تقبل المجتمع العماني لهذه التحولات ولا سيما بعد مدة الاحتلال، التي عاشت فيها المرأة مرحلة الاستلاب الأيديولوجي وحرية التفكير وممارسة الثقافات التي تريد الأنا ممارستها، وبأسلوب الكاتبة الرشيق ترسم بريشتها خفايا المجتمع العماني ومدى تقبله لتلك التحولات بأسلوب سهل ممتع يجمع بين الفصحى والعامية.

وعلى وفق ما مر يمكننا أن نقف عند ثلاثة مطالب اشتمل عليها البحث:

المطلب الأول: الاستلاب الايديولوجي:

لا شك في أنَّ من أخطر أنواع الاستلاب هو الذي يرتبط بالفكر ويزعزع القيم الثابتة التي تربى عليها المجتمع وشكلت بنيته الاجتماعية وهويته، وهو بكل بساطة يعني تبديل وتغيير ومسح لهوية الأفراد والجماعات، والغرض هو عزلهم عن فضائهم الثقافي والاجتماعي وقيمهم الثابتة حتى تتلاشى وتضمحل وتحل بدلها ثقافة دخيلة وقيم مستحدثة تحمل في طياتها إقصاء للآخر واستلاب الكينونة، فهو البوابة التي يتم من خلالها تدمير كل شيء؛ لأنَّ مكمن التدمير يرتبط بالفكر والثقافة، وهذا ما يولد الاغتراب الذي يعشه الإنسان من الداخل فهو يعيش بجسد لا تقبل التعايش مع الروح؛لانَّ الروح إدراك، وهكذالا يمكن تحقيق هذا الإدراك في مجتمع يسلب التفكير ويخلق الهامش ليحقق مركزية الأنا، وهنا يأتي دور الأدب كردة فعل لإحداث الوعي واليقظة التي عبّر عنها جاك رانسير قائلًا:" لكي تساوي حياة أي مغمور كان – حياة الشخصيات العظيمة – يجب إلغاء الفصل بين مجال الحياة الصامتة ومجال الكلام والأفعال المشهودة " (رانسبير، 2012م، 235)

الرواية تعرض طبائع المجتمع العماني وتقاليده الراسخة، وتمنح الكاتبة شخصياتها الكثير من التفاصيل الواقعية والأبعاد الرمزية، التي ترسم أحداث السرد بقدرة وتقنية سردية عالية موظفة الاستلاب الآيدلوجي للكشف عن المخبأ خلف الكلمات والجمل والصور التي نقلت الحياة العمانية تحت وطأة الاستعمار البريطاني، وهذا الاستلاب أثاره خفية القصد منها تغيير ثقافة وقيم المجتمع وتقاليده التي توارثتها الأجيال، وكشف عن سلطة المجتمع وسلطة الاخر الذكوري التي لم تفصح عنه الرواية على نحو صريح **(كانت عينا خولة منتفختين و أنفها محمرًا، قالت لأبيها إنه غادر بوعده لأخيه على فراش موته، ويريد أن يبيعها لعلي ولد المهاجر، كيف يفكر أحد بخطبتها وهي مخطوبة؟ كيف يفكر والدها بالمو افقة على هذا الخاطب ويغدر بالمرحوم.. ميا لم تتعلم ولكن خولة تعلمت وستقتل نفسها اذا و افق أبوها على هذا الزواج) (الحارثي،2010م،80)**، النص يعرض وعلى نحو واضح سلطة الأب وكيف تسلب من خولة حريتها وهي مخطوبة ووالدها يريد أن يزوجها لشخص آخر، هذا ما حاولت الرواية أن تستعرضه على نحو سريع لتوضح مقدار الاستلاب الذي تعرَّضت له النساء بعد مدة الاستعمار.

تدخلنا الكاتبة لقرية (العوافي) التي تدور أحداثها الرئيسة من خلال حياة شقيقات ثلاثة، وهم (ميا وخولة وأسماء) يعشن مرحلة التبدل والتطور بعد جلاء الاستعمار، فالفضاء الثقافي والايديولوجي شهد التبدل هو الآخر بكل ثوابته الراسخة، وهنا تكمن حبكة الرواية في معالجتها لهذا الاستلاب الخطير، والأمر غير الخفي الحاجة للحب والحرية بعد قرن من الحرمان والتشرذم سيكون كبيرًا وباهضًا، وتحاول الكاتبة أن ترسم لنا المجتمع بكلِّ طبقاته من خلال غرفة صغيرة عشنا بها هؤلاء النسوة الثلاثة لتنطلق كل واحدة منهن في عالم مختلف في فضاء الحرية ورياح التغيير التي ستجعل كل واحدة تظهر صلابتها أمام هذا الزلزال المدمر المعروف بالاستلاب الأيديولوجي، فالرواية تعتمد على توصيف الموروث ومدى تغلغله بالحياة العمانية، وسلطت الضوء فيه على المفارقات في حياة الناس بعد اكتشاف البترول، وتطور الحياة وبقي النسق المضمر لأغلب الشخصيات يرمي بثقله على أحداث النص، فمحاولة التماشي مع هذا التطور يجسد القدرة الكتابية للحارثي إذ تمكنتْ من الجمع بين عوالم متداخلة بين ما هو جديد محدث وبين تقاليد موروثة جعلت الكل في امتحان صعب بين التخلي والتمسك، فقد تحولت البيوت الدافئة الى فلل باردة ودخل التلفاز والآلات الحديثة كل البيوت العمانية إلَّا من بقي متمسك بالتراث وهم قلة، فجسدت الكاتبة ذلك بأسلوب فني سلس يعتمد المفارقة والتعليل.

تشخص الرواية وجود العنصر النسوي فهنالك – كما أسلفنا - **(ميا وأسماء وخولة)**، فضلا عن شخصية **عبدالله** المحورية في النص، فهم يشكلون قيمة فنية في جعل السرد شائقًا، فعلاقات الحب بين الاخوات الثلاثة لا ينجح إلا مع **(أسماء)**، وعلاقتها مع الفنان خالد، أما بقية الأخوات**(ميا وخولة)**، فلن تنجح قصص الحب معهن، فهن يجسدن ذلك الاستلاب الايديولوجي بين تقاليد متوارثة وتطور حديث يحمل بين طياته الكثير من الممارسات التي تتعارض مع التقاليد المتوارثة.

فـ **(ميا)** تتمرد على القيم والتقاليد التي ترعرعت عليها، فتشعر أنَّ أجواء الحرية التي تعيشها بعد الاستعمار تسمح لها أن تتزوج **عبدالله** وقلبها لا يزال ينبض بحب**(علي بن خلف)**، يبدو أنَّ الانسلاخ عن تلك المثل التي تربى عليها أبناء قرية **العوافي**، قد أصابها التطور والتبدل وتحاول أن تخرج عما تربت عليها، فهذا عبدالله يريد من ميا ان تلد على يد الدايات لكنها ترفض **(قالت ميا... أسمع لن ألد هنا على أيدي الدايات، أريد أن تأخذني لمسكد.. قاطعها قلت لك ألف مرة أسمها مسقط.. أكملت كانها لم تسمعه" أريد أن ألد في مستشفى السعادة" قال: أو يسقط ولدي في أيدي النصارى) (الحارثي،2010م، 15)**، يبدو انَّ **عبدالله** المتشبث بتلك القيم والتقاليد التي تربى عليها لم تعد تجدي نفعًا عند **ميا** التي تريد ان تلد في مستشفى

السعادة الذي هو عند عبدالله المتعصب استلاب يحاول أن يأخذ بعض قيمه التي يؤمن بها وتربى عليها، ولكن ميا التي تحاول الانسلاخ عن تلك القيم المتوارثة في ان تلد المرأة عند الدايات، فالولادة عنده بالمستشفى عيب وحرام فهو لا يريد ان يسقط ابنته بيد نصرانية، يحمل النص دلالات عميقة المعنى تجسد عمق تلك الروابط وما تربى عليه المجتمع العماني، ولكن ما حمله التطور من تغير بتلك العادات والتقاليد وهذا الأمر مقرون بطبيعة تقبل كل شيء جديد ومحدث جاء بعد الاستعمار، وتلك العبودية التي تجدها في استلاب المرأة (حنان) صديقة لندن وهي تُخبرنا عن فاجعة منتصف الليل "... **كانت حنان صديقة لندن تُدِّرس في مدرسة ابتدائية في صلالة حين اتصلت في منتصف الليل لتخبرنا انَّ جماعة من المراهقين هاجموا سكن المعلمات واغتصبوا بعضهن، اغتصبوا حنان ايضًا** " (**الحارثي،2010م، 15**)، وهذا يصور المعاناة التي تعيشها المرأة ويثير التساؤلات في كيفية ان يكون مدرسة للبنات بل حراسة مشددة وبلا رقابة حتى يكون لقمة سائغة وهنا يدرك القارئ الاستلاب الذي يحرم هؤلاء من الحماية والمحافظة عليهن لا سيما ما تعرفها عُمان التزام بالأعراف والعادات والتقاليد، وما تسجله الروائية ايضًا هو ذلك الاستغراب والاستهزاء الذي أثارته ميا عند توجيه السؤال لها من محمد الحبيب الصغير لها " **((هل تحبّينني؟)) ضحكت ضحة عالية جدًّا تهدمت كل جدران البيت الجديد من ضحكتها وهرب الأطفال** " (**الحارثي،2010م**، 16) وهذه الضحكات هي التي تصور لنا مدى الحرمان الثقافي والفكري للبنت التي كانت تعاني وطئة الاستعمار ووطئه الذكورية وهي التي لم تعرف من معجم الحب الا النزر القليل او ربما لا تعرفه في الأصل، إنّه سعي الذات للإنعتاق " من سطوة هذا العادات التي تبدو في نظرها قيودًا لا بُد من كسرها " (الدبو وآخرون،2021، 265) وكيف تعرفه وهي التي نادرًا ما تشاهد المسلسلات " **لكن ميا لم تكن أيضا تشاهد المسلسلات** " **الحارثي،2010م**، 16).

وليس لكلِّ امرأة أن تساير التطور وتحاول ان تنسلخ من المحيط إذ لم يكن لديها القدرة على الانسلاخ والمقاومة لحالة غيبوبة الذات وتعيش حالة من كينونة الذات واكتساب مهارات التغيير، ومع (جوخة) وجدنا كيف تمكنت من تعرية الواقع والكشف عن الخلفيات الآيدلوجية التي تُسلب منطقية وجود المرأة ومصادرة حريتها في التفكير والمثاقفة وممارسة الانا المضمرة، كلُّ هذا من وجود السلطة الظاهرة / الاستعمار والسلطة الخفية / الذكورية، لقد منح السرد للمرأة الحرية في تعديل الايدلوجيات وتشخيص الخاطئة منها وذلك بتوظيف تقنيات تحاول الكاتبة أن توسع دائرة السرد وتعمل على شد إنتباه القارئ نحو القضية وفي الوقت نفسه لا تفصح عن ذلك إلا من خلال الإشارات والانساق المضمرة داخل النص، فالحوار يمثل "... بؤرة السرد من أجل قضية ما يريد الراوي أن يوصلها" (عباس، 2020، 9)، ويطالعنا نص في الرواية نجد في الراوي العليم بضمير الغائب (الرؤية مع) من خلال الحديث بضمير الأنا تقول: " **على كثرة أسفاري ما زلت أفضل الجلوس بجانب النافذة ومر اقبة المدن وهي تصغر تدريجيًا حتى تتلاشى. قالت لندن: " تسافر كثيرًا يا ابي" لم أقل لها أننا في الغربة نتعرف على أنفسنا على نحو أفضل كما في الحب، لندن لا تعرف الكثير عن الغربة.. ولكنها بكل تأكيد تعرف عن الحب" (الحارثي،2010م، 27)** يبدو أنَّ الاستلاب الفكري يتشظى الى استلابات مختلفة ومتنوعة، فالفكر هو أساس كل معتقد، على الرغم من تعدد المسوغات والحجج التي تنساق في تبرير الهدف، وهذه الحجج على اختلاف مشاربها ومساربها ليست هي وحدها الفاعلة في استلاب السلوكات التي مر عليها الزمن وأصبحت من المسلمات، فلندن التي تعرف الحب ولا تعرف الغرب الذي فقدته في القرية وهي تنشدُ اغنية الحرية التي تبحث عنها وتللك السنين الصعبة التي عاشتها تحت جبروت العائلة التي تحتفظ بعادات بالية وتقاليد أكل عليها الدهر وشرب، ولكنّها بقيت صامدة حتى تحقيق الأنا وانتصاره " **ظل صمودها تحت سوط امّها مثار افتتاني وألمي حتى كسرت السوط بنفسي وزوجتها منه...**" (**الحارثي،2010م**، 27)، ويسجل النص هنا تناقضًا فكري آخر، فالغربة التي يعيشها الراوي الذي يتحدث بلسان أبيها(**عبدالله**) يعيش غربة روحية وهو في بلده فلا ريب أن نتلمس في النص مفارقات على مستوى الدلالة، فالمعروف أن السفر والبعد عن الوطن يحمل شعورًا بالغربة، ولكن حين تكون الغربة داخلية فأن مفارقة الحدث تكون علامة بارزة على شعور بالغربة يعيشه الفرد في قريته ومدينته ووطنه، فالرواية تُفصح عن حمولات آيدلوجية تظهر أسلبة الواقع المعاش وتحويله الى خانات من التمني في بديل يَحلُّ غربة النفس، إنّها القضية المهمة "، والعزلة الاجتماعية التي تعني الشعور بالوحدة والانفصال، وقطع العلائق الاجتماعية، فضلًا عن الغربية الذاتية التي تمثل القضية الجوهرية، إذ تشير من طرف آخر الى انَّ الفرد لم يعد يملك زمام ذاته "(المحمدي، 2008 م،16)، ولا شك في أنَّ الغربة والاستلاب هما يحملان نفس المفهوم والفكر، فهو شعور يرافقه سيطرة فكر ما على الآخر، يرافقه تسطح وتهميش عقلي يعانيه الفرد، بحيث لا تكون لديه القدرة أمام الغزو الفكري والثقافي الذي يأتي من خارج البلد، أو من الداخل.

إنَّ الانشاد لعالم يوتوبيا – كما تراه لندن – بعيدا عن الاستلاب الفكري وتحكم تصورات ورؤىً تجسد نظرة الفرد لما يحيط به، فلو نظرنا للنص مرة أخرى يقع القارئ على قول الراوي "**على كثرة أسفاري ما زلت أفضل الجلوس بجانب النافذة ومر اقبة المدن وهي تصغر تدريجيًا حتى تتلاشى" (الحارثي،2010م: 27)**النص يحمل دلالات الاستلاب الفكري فلم تعد مناظر المدن في السابق نفسها الان فهي في نظره بدأت تتلاشى وتضمحل على الرغم من التطور العمراني، فالشعور بتلك المدن وأهلها يختفي شيئًا فشيئًا، فرؤية الراوي تجسد تصورات ترفض هذا التطور وتنظر بعين غير راضية، وعلى الرغم الحمولات الدلالية للنص (تصغر وتتلاشى) بما تحمله من مفارقات على صعيد الواقع إلا أن ذلك يظهر رؤيةً الراوي وما يشعر به من تناقضات على مستوى الحدث.

ويطالعنا نص للكاتبة تقول فيه" **قالت لندن أريد سيارة بي أم دبليو تليق بي كطبيبة وبنت التاجر سليمان لماذا نسبت نفسها لجدها...قال**

مدرس بيل لماذا لم تتعلم الانكليزية و انت صغير؟ الان أدركت أهميتها؟ إنها أهم لغة في العالم، أهم لغة في العالم.. العالم.. العالم كبير جدًا... قال شريكي سنتخلى من الأساليب القديمة في التجارة الان الاعلانات أهم شيء" (الحارثي،2010م، 187)،إنَّ ما يحمله النص من دلالات ومن مفاهيم جديدة تجسد بلا شك قيمة الاستلاب المسيطر على الناس بعد أن تبدلت الأمور وتغيرت المفاهيم، وأصبح يعيش الناس بحرية، فالقيمة التي يكتسبها الإنسان ليس بالاخلاق ولا بالقيم بقدر ما اصبح المعيار في المال فقيمة الإنسان تُقاس بما يملك، وهذه النظرة هي من مخلفات الاستعمار البريطاني الذي تشربت عُمان بأفكاره،فالناظر إلى النص يجد لندن تلك الفتاة التي ولدت في عصر التطور والتبدل الفكري تريد سيارة بي ام دبليو، تليق بها كطبيبة ثم يقول بيل مدرس الانكليزية (تعلم الانكليزية)؛ لأنَّها اللغة ألأهم في العالم، فلندن ابنت ميا وعبدالله تتحرر ما يقيد ويسلب ثقافتها وتطلعاتها التي جثمت لسنوات على الأبناء، فالأحفاد التي تمثل (لندن) واحدَّة منهم نشاهد " كيف استقلت برأيها، وفرضت نمط حياتها الذي ينقل وجه "سلطنة عُمان" الجديد بعد التحولات الكبرى التي طرأت على الحياة في نواحيها المختلفة" (سدر، 2022)، إنتفاضة (لندن) يمثل الخطر الذي شعرت به لندن نتيجة صمتها، ولذلك هي طلبت الحداثة في السيارة ورفضت التخلي عن هويتها، فالاستلاب يكون خطرًا جدًا في آثاره حين ينقطع الإنسان عن أصوله ووجوده التاريخي ولا سيما إذا كان هذا الاستلاب بترويج من الآخر وهو الاستلاب الذي ترك آثاره المستعمر، ففي قول **المدرس** في النص السابق **(أن اللغة الانكليزية هي أهم لغة في العالم)** يحمل طابع إستلابي للهوية والفكر وكلام مبالغ فيه، وقد يرسم الحوار الذي دار بين أسماء وخالد صورة الاستلاب الايدلوجي الذي يهيمن على خالد من الاب الذي رسم له كل شي في حياته غلا الخيال الذي يهرب فيه خالد لتحقيق انفلات الذات وتحقيق الأنا " **سألته أسماء: لماذا ترسم يا خالد؟ لأتخلص من الحياة في حدود خيا لأبي، واصبغها في حدود خيالي انا. منذ طفولتي حتى أو ائل عشرينياتي و أبي يحدّدني وفق محدّدات خياله، كانت له طاقته الخيالية الواضحة، وكنت أنا وقود هذا الخيال، كل تصوّراته عليّ ان أكون تجسيدًا له " الحارثي،2010م**، 190) هذه السلطة الذكورية التي تذكرنا بالسيد وتسلطه في ليالي الحلمية وكيف يتعامل مع بيته وابناه وزوجته في حين الوجه الآخر يمثل حياة الإسفاف والرذيلة، فماذا تريد (جوخة)قوله هنا؟ إنّها تشير بطرف خفي الى استلاب العقل والتفكير والثقافة ومصادرة الحياة ل حتى الحلم حرام مع ابي عبدالله الوجه الحقيقي لاستعمار والتسلط وليس الاستعمار العسكري فقط من يرهب الآخرين بل تلك الصور التي تعكس حياة الجحيم من الطفولة الى ريعان الشباب، إنَّ ما مضى يمثل النزر القليل مما يُمكن الكشف عنه من استلاب آيديولوجي يمنع عن الانسان ان يمارس حقّه في التفكير وينتج عنه تقييد الذات جاعلًا إياه منطويًا منعزلا متبوعًا ليُحقق مرحلة الانتصار، فالاستلاب كما يرى (لوك) أنّه " التسليم والترك... التضحية الاختيارية من أجل السلوك والحرية الكاملة... " (عباس، 2008، 28).

في مثل هذه الحدث يتم تشكيل أحداثه ثيماتيكيًا فهو مسار فاعل في بنية النص الروائي يمنح باقي عناصر السرد فاعلية قل نظيرها، ولا سيما أنَّ الهيكل المعماري للرواية يقتضي الوقوف عن كل حدث مهما كان صغيرًا.

المطلب الثاني: الاستلاب الذاتي:

إنّ استلاب الذات يحمل مؤشرات خطيرة تتعلق باستلاب الوجود... استلاب الكينونة والوجود، فهو استلاب يمثل مؤشر الوجود داخلي الذي ينبع من الفرد، وهو حالة شبه معرفية تبدأ بالآخر وتنتهي بالفرد، فالآخر يحاول أن يسلب كل شيء قيمي في الذات، ويحدد الذي يريده من الذات ويرسم ملامحه، ولقد عالجت الكاتبة هذه القضية المهمة من زوايا عدة، فإن الحديث عن ذلك يتطلب جهدًا في التغلب على التقليد الأعمي، وبالعودة للرواية نتلمس أن **سيدات القمر** رواية تعرض للقارئ على نحو مفصّل حال عُمان موطنها ولا سيما بعد ان تداخل الاستعمار بين الخارجي والداخلي، استعمار للأرض وأستعمار اهل الأرض بعضهم من بعض، تتداخل عناصر السرد السنوي بين الاخوات الثلاثة وبعض الشخصيات الاخرى التي كان لها حضور فاعل في النص، فالسرد النسوي في هذه الرواية هو سرد حكايات ومواقف وأحداث، وارتباط القصص النسوي بالرجال، فالكاتبة لم تميل لجانب لصالح جانب آخر.

ولعل استلاب الذات يتحدد من خلال قضايا يثيرها موقف سردي معين نسجل به مواقف متضاربة من الشخصيات على مستوى البناء السردي، وربما يستلب الفرد كل مقومات وجوده، ويصبح أمام تحدٍ كبير، وفي هذا النص يقول الراوي:**" تعالت أصوات من النساء في الاستئذان لدخول البيت فأومأت سالمة لأسماء. قامت أسماء بتثاقل فهي لم تقتنع قط بأنه لا يحق كفتاة غير متزوجة ان تجالس النساء المتزوجات وتسمع لأحاديثهن وخاصة أن الخبرة في الحياة التي يسعى هذا التقليد إلى تجنيبها إياها أصبحت متاحة لها عن طريق الكتب آه الكتب.." (الحارثي،2010م، 26)**شخصية أسماء شخصية مركبة تعاني الوحدة أحيانًا ومرة اخرى منفتحة علمتها الكتب الكثير من العلم والثقافة، والحديث الذي دار في النص السابق يحمل في طياته خطابًا يشير الى الإقصاء من الآخر، فهي غير مرحب بوجودها، وإنَّ حجة العمر غير مقنعة، فالذات يُصادر استلابها الذاتي المتمثل في كينونة الوجود، فهي لا تملك لنفسها قرارًا مما يجعل هذه الشخصية تعاني التشظي والحرمان، فالسرد يحكي على لسان الشخصية ما تعانيه، فمثل هذه الأمور لا تزرع الثقة بالنفس، فتعاني الذات الحرمان والوحدة، فالشخصية الروائية تمتلك غايات محددة ومهمة، وإن الذات الفاعلة لا تتأثر في ما يجري لها؛ بل هي ذات فاعلة ومؤثرة رغم ما تعانيه من استلاب وحرمان، وهذا يدلل من الفعل اللاحق لفعل أسماء "...

الكتب، آه الكتب، تذكّرت أسماء هذه المتعة الطاغية فهرعت اليه " الحارثي،2010م، 29).

إنَّ استلاب الذات في الرواية تتسع بين الراوي وكاتب النص وما يقع ضمن الرواية من أحداث وشخصيات، والحقيقة أن لهذا النوع من الاستلاب يؤدي وظيفة مغايرة ومختلفة، فعلاقة الذات والهوية بالسرد هي علاقة متشابكة تتعلق بكينونة الإنسان ورؤيته للعالم، فالهوية لكونها ماهية وحدث اسقاطي وتمثلات للوعي، فالبحث عن مثل هذه الهويات هو من يقرر حالة الاستلاب وعلاقتها بالذات وبالهوية التي تعاني من الضياع والفقد والتلاشي، فكل ما يمرُّ به الانسان من تقلبات سواء تعلقت بهذه الذات أو تحديات الهوية القومية في سبيل إعلاء كلمتها، تجعل من الصعب ان نقاوم هذا الاستلاب فهو يحتاج الى الكثير من المفاهيم القيمية، والى الشجاعة والقدرة في مواجهة الآخر وهو ما حاولت أسماء تجاهله بإنشغاله بعالم القراءة المتعة الحقيقة التي تجدُ هويتها فيها.

وتكشف لنا بعض نصوص الرواية أنَّ الاستلاب الذاتي في بعض صوره دعوة للانفصال عن كل شيء يمت للواقع أو للماضي نفسه، فليس ثمة لشيء ولكنه مجرد إحساس باستلاب المستقبل بفعل عوامل شتى**" حين خرج أبوها من الغرفة بكت الرضيعة فحملتها ميا إلى صدرها، هل تشبهها فعلًا؟ بعد ثلاث وعشرين سنة حين ستكسر هاتفها النقال وتضربها لن يكون بينهما أي شبه إلا في السمرة والنحافة، وستكون لندن أطول وأجمل منها... وستكون هذه الغرفة ملاذ جدها في ستينياته وقد تلاشى الازرق الزيتي" (الحارثي،2010م: 52)**، النص هنا بكل تجلياته السردية يجسد لنا احساسات راودت ميا بعد أن تكبر ابنتها لندن وستسلب منها كل شيء، فهي تعاني من صوتين الأول: صوت داخلي يقضُّ مضجعها بسبب أحلام الصغر التي عاشتها، وصوت خارجي يجعل من لندن ندًّا لها، فقضية الصراع وتشظي الهوية من الأمور الجديرة بالبحث وتصوير دواخل الذات التي ترتهن بأمور ربما هي غير واقعية ولكنها تحمل شعورًا مخيفًا من القادم مهما كان ومهما جاءت صوره، ربما تخيلات المرأة للعالم أصابها شيء من الاحباط دون النظر من كونها أمًّا للندن، وهذا بسبب ضغوطات الحياة وما يحمله عالم السارد من تخيلات تهمش الهوية وتنشطر من خلالها الذات التي تكون أسيرة الواقع وما يحمله من تصورات مختلفة، ومن خلال هذا الطرح تحاول الروائية أن تتولى مهمة السرد لتُعبّر ليس بالضرورة عن تجربة اجتماعية بسبب فقدان الهوية؛ بل ربما يكون بسبب التبدل والتغير الذي طرأ على المجتمع العماني الذي أصبح يعيش أجواء ما بعد الاستعمار من انفتاح وتبدل في القيم والعادات، ولعلَّ شعور ميا تجاه ابنتها هو استلاب ذاتي تعيش مرارته في المستقبل من تغير يمس كل جوانب الحياة، ويظهر المقطع السردي حجم الصراع الداخلي التي تعانيه الأم، وتشكل وجود الذات عقدة الرواية التي تمثل مرحلة الاستلاب وفقدان الكينونة والهوية،وكان مسار السرد الذي جسد رؤية ذاتية وكيف تعامل السارد مع تجاوز الواقع واللجوء إلى تجسيد هذه الرؤية من خلال تقنية الاستباق بقولها:(بعد ثلاث وعشرين سنة....)، وهو القفز الزمني الذي يحمل دلالات شتَّى، فالقفز على الواقع والانتقال به إلى المستقبل هو انتقال للذات، ومن خلالها يتم تحقيق التجربة الذاتية بوعي زمني متصل إنّه ما تطمح اليه ان تكون الذات حاضرة ويكون لها وجود من خلال " مبدأ التجاوز والحاجة الملحة الثابتة إلى تطابق أحسن مع الواقع الخارجي، والرغبة الخالدة في الفعل باستمرار في هذا الواقع ليتفق مع مطالب الإرادة الواعية الحرة " (زايد، 1988، 20).

إنّ رؤية (**ميا**) لابنتها وهي تكبر جعلها تتساءل: هل ستشبهها؟ وغيرها من التساؤلات التي طرحتها من خلال فاعلية المنلوج يمنح الحدث بعدًا دراماتيكيًا، والمحكي من خلال ضمير التكلم حين يكون مع المنولوج يقترب كثيرًا معه؛ بل يتطابق على نحو كبير، فالذات توجه فعل الحكي إلى القارئ الذي تحاول أن تكثف دلالة الفعل أولًا، ثم توجه صوتها الداخلي إلى الذات فتجعلها ملازمة لسيرورة المنولوج، وما قالته **ميا** يندرج تحت هذه الغاية، وهذا الاستلاب يتردد في أكثر من موضع ودون مراعاة للجنس، فبعض الرجال مارس سطوة الذكورية وحالة القهر والاستلاب حتى على الرجال أنفسهم.

لعبة السرد التي يراوغ بها الروائي هي لعبة خفية الغرض منها البحث عن مكامن الدلالة وتأويل الحدث، ففي مفهوم الذات وما تعانيه من استلاب، في حبكة تتسم بالمفارقة، فهو يعمق الانشطار بين الذات والاخر، ولا سيما حين يكون هذا الاستلاب ذاتي، فتتجلى الذات وتتوسع الهوة بين ما تعنيه الذات من استلاب وما يحققه فعل السرد الذي يحمل مقاصد الكاتب ومراميه، يواصل السارد فعل الحكي قائلًا:**(بعد زواج أسماء أصبحت خولة لوحدها في البيت مع أمها، وفي أحيان نادرة ينضم أبوها لهما ساهمًا، ورغم أن أمها لم تعد حادة معها، فإن خولة كانت تضيق بالحياة يومًا بعد يوم وتنسحب لداخلها أكثر فأكثر ازداد اعتناؤها على نحوها وجمالها حتى كاد يتحول لهوس إنها فرجيني بقصة بول وليلى في قصة المجنون... وكل اللو اتي أحببن إلى الأبد وضحين في سبيل الحب الصادق)((الحارثي،2010م، 138)**.

يحمل النص دلالات عدة، وتبدو الذات هنا واقعة تحت تأثير استلاب نفسي كانت صورة من صور القهر والصمت القاهر في المكان الذي تعيش به، فضلًا عن استلاب لكثير من المفاهيم التي لم تعد تجدي نفعًا في بيت كل شيء فيه يدعو إلى الاستلاب، فالشخصيات في هذا المقطع تعاني من استلاب للذات الأب ينضم ساهمًا، والأم لم تعتد تهتم بها، فهي لم تكن حادة معها حينما كانت سابقًا، وهذا بلا شك يعني عدم الاهتمام بها، إذ أصبحت لا تعني لهم شيئًا، والذات نفسها قد أصابها الإحباط وضيق الحياة وبدأت تنسحب لداخلها أكثر فأكثر، فالوجود الحقيقي للفرد والشخصية في مواجهة تناقضات الحياة هي أهم وأبرز مفاهيم الاستلاب الذاتي، فهي تحكي واقعًا يبين طبيعة القضايا التي تخص الوجود الفردي وعلاقته مع الاخرين والبيئة الاجتماعية، فالانسان ثمرة البيئة الطبيعية والاجتماعية الذي تمثل الأيديولوجي إفراز لها (فاضل، 2013، 100)، وكلها سياقات تتطلب رؤية تحاول الانتصار على كل المعوقات والظروف تجاه العالم والاخرين، وفي ها النص السردي يتم وصف حالة الذات التي تتعرض للتهميش

والاستلاب بفعل عوامل مختلفة، فهذا الاستلاب لا يعني الاستسلام لنمطية المرأة الضعيفة وما جرى لها بعد جلاء الاستعمار، هو صورة نمطية للشعب العماني أو بصورة أدق للنساء العمانيات؛ تحاول الكاتبة في هذه الرواية أن ترسم صورة لا تتحلى بالضعف أو تسيطر عليها هواجس الاستلاب للهوية والذات، ولكن يبدو أنَّ ما جرى لبعض شخصيات الرواية من استلاب كان يمثل سطوة ما حدث من تغيير بالعادات والتقاليد، وربما نجحت الكاتبة في أن تشكل أحداث الرواية في شكل حكائي متميز على طول السرد من خلال تفاعل الأصوات بفاعلية داخل البناء الحكائي.

واعتمد السارد في نص **خولة** السابق في التعبير عن رؤية شمولية ذات دلالات عميقة، فالشعور الذي تحمله شخصية حنان يجسد انشطارًا للذات واستلابًا لها في نفس الوقت فهذه الشخصية تتشظى بين واقع أليم ومستقبل مجهول في مشهد درامي يحمل تجليات نفسية وانفصام للذات التي تعاني غربة داخلية، ففي قولها:" **ازداد اعتناؤها على نحوها وجمالها حتى كاد يتحول لهوس إنها فرجيني بقصة بول وليلى في قصة المجنون... وكل اللواتي أحببن إلى الأبد وضحين في سبيل الحب الصادق " (الحارثي،2010م، 155)**ما تجيش به الذات من حيرة وتناقض يبدو في ظاهره طبيعيًا، ولكنه يحمل رؤية تشاؤمية تجعلها ترى الاعتناء بجمالها خوفًا من تقادم الأيام بعد أن أنقضت أيام عمرها في انتظار سراب، والوفاء لمن لا يستحق. ففعل السرد يتجسد من خلال بعدين الاول داخلي والآخر خارجي، فطبيعة الاستلاب الذاتي التي يحيط بالشخصية الروائية لا ينفك عنها، فمثل شخصية خولة تمر بمراحل وتحولات ذاتية، وهذا التحول يتناسب وطبيعة الاستلاب الذي تعاني منه، فهو تعبير شعوري ونفسي عن حالة الضياع التي تمثلت في تلك الشخصية، ولعلّ ما عانته (ميا) من ذلك البيت الذي عاشت فيه المرأة العاكسة لآيديولوجيات زوجها لا يختلف كثيرًا عن تلك العلاقة التي جمعت الطبيبة (لندن) إبنة ميا ووعبدالله بالحبيب الذي يمثل العشق بالنسبة للطبيبة الحالمة بيد انَّ ذلك الحلم تبدد بمجرد ان لامس الواقع المرير الذي عاشته لندن مع احمد "... أو ابتسامة أبحث عنها عبثًا في وجوه اولادي، لندن؟ نعم، ربّما هي، لولا أن تورطت في كذب أحمد. آه..." **(الحارثي،2010م، 138)**، وهو ما رآه من الباحثين في (لندن) التي كانت تسبح في عالمٍ من الخيال، فهي إمراةٌ شاعرية تجلس على الغيوم احبت (أحمد) الشاعر المتمرد ولكنها إنصدمت بخيانته وغهانته المتكررة لها فقررت ان تنزل الى الواقع من برجها العاجي وان تفسخ خطوبته (احمد، 2019).

المطلب الثالث: الاستلاب الثقافي:

بما أن الاستلاب هو فرض لفكر ما أو رأي لمجموعة ما على كل المفاهيم ذات النهج الفكري الخاص بالإنسان الفرد، وبهذه السيطرة يصبح هذا الفكر المسيطر هو القادر في التحكم، ليتحول بمرور الوقت إلى قوة مسيطرة تفرض إرادتها بكامل سلطتها، ولعل الاستلاب الثقافي واحد من مفاهيم الاستلاب الذي يحمل في داخله صيرورة الغزو الفكري وسيطرة الثقافة التي جاءت مع الاحتلال أو بعده لكن رسمت ووسمت المجتمع واستلبت قيمه وتقاليده التي تربت عليها الأجيال، ومن هنا يأتي مفهوم الاستلاب الثقافي بمفاهيمه المختلفة للسيطرة على عقل الإنسان ويفرض عليه نظمًا ثقافية غريبة عليه، فالنفور الثقافي الذي يغلف العقلية يصاحبه الرفض لكل مقدس، فيعش الفرد عزلة وغربة في مجتمعه، ويتخللها رفض لكل المنظومة الاجتماعية، والاستلاب الثقافي يوظّف تلك الفئات ذات البعد القلق بالتهميش والاقصاء، مما يفتح الباب واسعًا أمام الثقافات الجديدة أن تفرض هيمنتها ونفسها كبديل عمّا هو مرفوض وبكل يسر وسهولة.

نجد في رواية (**سيدات القمر**) اشتغالًا على الشخصيات المهمة لبعض النسوة اللواتي مررن بتجارب جديدة، فالرواية كما ذكرنا سابقًا تشخص لمرحلة من تاريخ الشعب العُماني، وكانت قرية **(العوافي)** ذلك المثال لمرحلة الاستعمار وما بعده في ثلاثينيات إلى الثمانينيات القرن الماضي، ربما لم نجد في الرواية تحديدًا واضحًا لذلك التاريخ لكن أحداثها تصور ذلك بوضوح، ثم تبرز مرحلة ما بعد الاستعمار وكيف تفاعلت تلك النساء مع التطور الثقافي والفكري، وكيف عالجت الكاتبة آثار الاستلاب، ففي الاستلاب الثقافي والاجتماعي نرى كيف أصبحن أو بالأحرى كيف أصبح المجتمع يتمتع بمفاهيم جديدة، فالبنت الكبرى (**ميا**) تعيش قصة حب جديدة تعشق رجلًا من النظرة الأولى في السوق، تحاول الكاتبة أن توصل لنا رسالة او صورة أو مشهد لطبيعة الحياة، فالبنت لم تعد حبيسة البيت؛ بل أصبحت تخرج بدون محرم وتعشق بحرية، ولكن لا تسطيع أن تعلن حبها، فعلى الرغم من تلك الحرية لكن طمع الأهل أجبرها أن تتزوج من ابن التاجر الذي لديه عقارات وأملاك، فهو كما يرون الأكثر على إسعادها، فيسافر ذلك الشاب إلى لندن تاركًا حبيبته، فتسمي (**ميا**) ابنتها (**لندن**) للمكان الذي سافر إليه "**عشق صامت لكنه يهز بدنها النحيف كل ليلة في موجات من البكاء والتهند.. شعرت مرارًا بانها ستموت تحت وطأت الرغبة في رؤيته، حلفت في سجودها في صلاة الفجر: والله العظيم يارب لا أريد شيئًا.. فقط أن أراه.. والله العظيم يا رب... ظنت امها أن ميا الصامتة الشاحبة لا تفكر في شيء في هذا العالم خارج حدود خيوطها و أقمشتها... ميا.. يا بتي ولد التاجر سليمان يخطبك.. تشنج جسد ميا وأصبحت يد أمها ثقيلة بالغة الثقل على كتفها، جف حلقها ورأت خيوطها تلتف حول رقبتها كمشنقة ابتسمت الأم: ظننتك كبيرة على خجل البنات.. و انتهى الموضوع....**" **(الحارثي،2010م،7)**، ترسم لنا جوخة الحارثي في المشهد السابق رؤيتين منفصلتين: الأولى رؤية منفتحة تعشق وتحب لا نقول متمردة؛ لكنها تحيا في ظل أجواء الحرية فتعيش قصة حب مع **علي بن خلف** مستمدة كل هذا من الانفتاح الثقافي والاجتماعي، ولكن أمها – التي تمثل الرؤية الثانية - تحمل فكرًا مختلفًا تمامًا فهي تريد لابنتها أن تتزوج من ابن التاجر الذي يمتلك الأموال والعقارات، فنحن حين نقارن بين رؤيتين منفصلتين رؤية منفتحة ثقافيًا واجتماعياً ورؤية اخرى مغايرة تمامًا لكل هذا، فالاستلاب الثقافي

والاجتماعي هنا يعد انفتاحاً يحمل في طياته جابنًا من الايجابية التي سمحت **ل(ميا)** أن تعشق وتحب بحرية، ولكن في الجهة الاخرى استلاب ثقافي تربى على تقاليد وعادات،فترى في أن البنت لا تختار فهي تسلب منها كل حق في ذلك، وهذا ما تحاول الرواية أن توصله او أن الرواية هي أرادت ان تطرح في مجملها رؤيتين للمجتمع العماني بين جيلين، وما رافق ذلك من تناقضات، واستلاب وثقافي، وهو يمثل خطر فقدان الهوية كما يؤكد " عملية تقضي على الهوية الثقافية، وتؤدي بالشباب إلى صراعات نفسية يعيشونها بين أحقية الخصوصية الثقافية التي تولد في كنف المجتمع الأصلي والتشبع بنموذج ثقافة مستعارة" (عطاوة واخرون، 78،2016-79) وهذا يتأتى بمراحل ما بعد الاستعمار وكيف عاشت لندن مرحلة الانفتاح الذي لم تجد فيها الهوية التي تنتمي اليها.

وحاولت الكاتبة أن تمنح نصوصها عمقًا من خلال تقنيات السرد وتعدد الاصوات ومحاولة تقديم الرؤية الأحادية التي تشتغل عليها من خلال ذلك التعدد، ومن خلال **ميا** تقدم لنا الكاتبة مثالًا لذلك الاستلاب الاجتماعي والثقافي الذي شكل علامة فارقة في المجتمع العماني الجديد، فالرؤيتان متناقضات وهو ما وسم المجتمع على الرغم من سعة الحرية التي عاشها.

وتطالعنا الكاتبة بكل شخصيات الرواية أنهن لم يعلن أو لنقل أن الصراع النفسي الفكري والثقافي لم يكن واضحًا ومعلنًا إذ كل الشخصيات كن يكابدن الكتمان والحرمان ويعانين من الاستلاب بكل أشكاله وانواعه؛ لتقدم لنا الكاتبة بكل صدق طبيعة المجتمع العماني بكل تجلياته وتناقضاته، فالخذلان العاطفي هو وسم كل شخصيات الرواية، وجاءت مفاهيم الخيبة والحرمان والفقد لكل الشخصيات.

يقوم السرد في نص جوخة على أن تؤرخ لمدة من الزمن عاشها الشعب العماني في قرية تتفاعل الأحداث فيها، وأبطال القصة أغلبهن من النساء اللواتي رصدت الكاتبة كيف عشن وعلى وفق السياق الثقافي والتاريخي لهن، وبرّزت مجموعة من الظروف التي شكلت مسار حياتهن، ولعل طبيعة الحياة في مجتمع القرية وسمت حياتهن ببعض الخصال، وتطالعنا الكاتبة في مواضع القصة مبينة لنا ما تعرضن له من استلاب ثقافي وفكري، تقول على لسان إحدى أبطال القصة:(**فتذكرت نجيبة أمها.. يضربها؟ تقول يضربها.. ولد البيدار يضرب ابنتي أنا؟ شيء رجل يضرب امرأته؟.. في العوافي كلها ما سمعت عن أحد يضرب امرأته غير فريح السكران.. يرجع سكران يقيء فيها ويضربها... وهذا الدكتور المتعلم مثل فريح السكران؟ يضربها؟ يضرب ابنتي ابن البيدار ما أحد مد يده علي ولا على أخواتي ويجيء ها الكلب ويضرب ابنتي**)، **(الحارثي،2010م، 56)** نرى هنا كيف يتداخل الزمن عبر تقنية **الاسترجاع** بقولها: **فتذكرت نجيبة أمها**.. إذ يعود الزمن السردي فتتذكر حال أمها ولا تريد أن تعيد المعاناة نفسها فتتذكر مأساتها، فتتداخل الزمن هنا يشيء بنوع من التضاد لتحقق الكاتبة قيمة درامية تمنح العمل الأدبي الحيوية والفاعلية، هنا يبرز النص حجم التحولات الثقافية التي أصابت المجتمع العماني بعد ردح من زمن التعسف والظلم، فلندن التي تصر على الزواج من ابن البيدار يحمل في ذاكرة الأم مواقف لا تنس من الظلم، فضرب المرأة في مجتمع قرية العوافي الذي يمثل سلوكًا مرفوضًا، يمثل جزءًا من تقاليد القرية الثقافية، التي ترى أن القرية ليس بها هكذا حالات سوى مع سكير واحد اسمه فريح، ولكن حين يضرب رجل مثقف امرأته يصبح الأمر خارج العرف والتقاليد.

ويبدو أن (نجية) تلك الشخصية الرئيسة التي كانت تسمى **القمر** عاشت حياة صعبة مع أخيها المعاق وانتهت حياتها بصورة غامضة، أحبت رجلًا متزوجًا، وكانت علاقتها المفتوحة مع **عزان** المتزوج صاحب الأسرة علاقة محرمة دون رابط شرعي، وهو ما يتناقض مع طبيعة المجتمع العماني وثقافته التي ترعي الحدود، فنجية التي عاشت الحرمان والحاجة يبدو أنها تحاول أن تجسد من خلال شخصيتها الغامضة والمركبة، وهو في الوقت نفسه يكشف حالة الاستلاب الثقافي الذي يترجم الحرية والانفلات على انَّ ارتكاب المحارم وتحقيق الوجود بإشباع الملذات.

إنَّ فهم شخصيات سيدات القمر يضع المتلقي وجها مع وجه مع الكثير من القضايا الشائكة التي كان يعاني منها المجتمع العماني ولا سيما بعد تبدل الحياة وتغير الكثير من المفاهيم الثقافية، فما كان مقدسًا أصبح مدنسًا وهو بلا شك نتاج العقلية الجديدة التي ارتضت بهذا الوافد الجديد من القيم والتقاليد، وعلى الرغم من كل ما مر بهذه القرية فإنها بقيت محافظة على قيمها وتقاليدها **" في تلك الليلة أوقفت سيارتها في أحد مواقف الممتدة على طول السيب، أطفأت الأنوار وانفجرت في البكاء لم أرها تبكي منذ أن كانت طفلة حتى العام الفات حين أنهالت عليها أمها بالسوط وكسرت هاتفها النقال.. يا أبنتي مالك.. مالك. حنان؟ ستُشفى يا ابنتي ستُشفى.. هزت رأسها.. ليست حنان رفض أهلها أن يرفعوا قضية ضد الاغتصاب خوفًا من الفضيحة وهي استسلمت ضمت عباءتها مزخرفة الاطراف إليها انكبت على المقود.. كنا نأتي أنا وأحمد هنا ويقول لي لا تفتحي النافذ لا تنظري.. الباب يركضون بالشورتات" (الحارثي،2010م، 55)**، فالنص يحمل دلالات ثقافية شتَّى، فهنالك النسق الثقافي المضمر الذي يمثل حضورًا فاعلًا في بنية النص السردي، وبذلك يغدو النص حالة ثقافية، فالدلالة المضمرة ليست سوى استلابًا ثقافيًا لمفاهيم أصبحت جزءا من منظومة ثقافية محافظة، ولكن على الرغم من هذا إلا أن الكاتبة تحاول أن تضفي على النص أبعادًا أخرى، فالنص يرصد ما هو مخفي ومسكوت عنه، وما رافقه من تحولات فالعلاقات التي يبرزها النص تتمثل في القضية التي تمس الشرف والسمعة، وهو ما حاولت الكاتبة أنْ تغوص في الحيثيات العميقة في المجتمع العماني ساردة لسان حاله وما تعرض له بعد الاستعمار من تغيير ممنهج، فظهور المرأة بهذا الحجم في الرواية يؤرخ – بلا شك - الى ما تعرضت له من تهميش واضطهاد ثقافي واستلاب في كل النواحي، فهي تحاول أن تقول كل شيء مخفي عن المجتمع العماني باستلابه الثقافية والفكرية والذاتية، مما جعل نصوص الكاتبة غنية ومعبرة عن ما تريد ايصاله للمتلقي بكل شفافية ووضوح، وعلى الرغم من أن الكاتبة

تحاول لملمة كل أجزاء الرواية إلا أننا نجد الكثير من النهايات المفتوحة لبعض الشخصيات والسبب ربما يعود لسطوة ما عانته فتركتها نهاية مفتوحة حتى تكون للقارئ سلطة في التأويل ونسج النهايات.

الخاتمة

في نهاية المطاف رصد الباحثان متغيرات مهمة في الرواية وهي لا تكاد تغادر الإستلاب بتصوراته وأفكاره التي من أهمها:

- ترك الاستعمار آثارًا سلبية من أهمها هو ذلك الظل الذي تميز به الطابع الذكوري في حين سجل الجانب الإيجابي الانفتاح الذي رفع سقف الحرية عند ابرز الشخصيات ميا ولندن.
- الاستلاب الايدلوجي هو بؤرة العقدة التي حاولت الروائية ان تفك خيوطها من خلال احداث وشخصيات الرواية، مؤمنة بانَّ باتت الأخطر في أنواع الاستلاب فهي تجعل من الانسان يعيش حالة الإتباع الأعمى.
- كان النسق المضمر حضورًا فاعلًا من خلال الحوار الذي جرى بين شخصيات الرواية التي مررت (جوخة) من خلاله الكثير من الأفكار والدلالات عكست في رسالة لتغيير المجتمع العماني.
- كشفت الرواية عن زيف الأهداف النبيلة التي تلبس بها الاستعمار وبينت محاولات استلاب الهوية ومصادرة الذات والوعي.
- تداخل مفهوم السلطة بين سلطة المستعمر والسلطة الذكورية وكلاهما كان لهما دور كبير في استلاب الآخر وإن كانت منطلقات واهداف الاستعمار مبنية على الاستغلال للثروات ونهب الخيرات في حين كانت سلطة الذكورية هو التهميش والإقصاء فبقاء سطوة الأنا ورغم كلَّ ذلك بقي التمرد حاضرا على طول مسار السرد.

المصادروالمراجع

ابو شعر، أ. (1997). *تجربتي مع القصة القصيرة*. الأردن: المركز الثقافي الملكي.

بلحسن، ع. (2016). *الرواية والإيديولوجيا*. (ط2). المغرب: الملتقى.

الجبار، ف. (1998). *الاستلاب هوبز، لوك، روسو، هيغل، فويرباخ، ماركس*. (ط1). بيروت، لبنان: دار الفارابي.

عباس، ف. (2008). *الإغتراب: الإنسان المعاصر وشقاء الوعي*. (ط1). بيروت: دار المنهل اللبناني.

زايد، ع. (1988). *مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة*. (ط1). تونس: الدار العربية للكتاب.

شعبان، ب. (1999). *مائة عام من الرواية النسائية العربية 1899-1999*. (ط1). بيروت: دار الاداب.

عويدات، أ. (2001). *موسوعة لالاند الفلسفية*. (ط2). باريس: دار بيروت.

رانسيير، ج. (2012). *سياسية الأدب*. (ط1). بيروت، لبنان: مركز الوحدة العربية.

عباس، ا. (2020). القارئ الضمني في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الاندلسي. *مجلة دراسات للعلوم الانسانية والاجتماعية*، 47(2)، 9.

الدبو وآخرون، أ. (2021) تجليات الصراع الإيديولوجي في رواية (عجائب بغداد) لوارد بدر سالم. *مجلة جامعة الأنبار للغات وألآداب*، 9.

فاضل وآخرون، ا. (2013). القراءة المعاصرة لشعر الصعاليك في ضوء المنهج السياقي. *مجلة جامعة الأنبار للغات وألآداب*، 32.

عطاوة وآخرون، س. (2016). مفهوم الاستلاب الثقافي وأثره في الهوية لدى الشباب الجزائري: مقاربة تربوية. *مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية*، 1(1).

حسين وآخرون، خ.(2020). العجائبية والبعد الدستوبي في نقد الأيديولوجية دراسة تحليلية مقارنة لنماذج مختارة من الأعمال الروائية لماركيز وفاضل العزاوي. *مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، 47(2).

السعيد، ع. (2013). الايدولوجيا /الخطاب/ النص نحو مقاربة مفاهيمية. *مجلة الأثر*، 18.

أحمد، ع. (2019). سيدات القمر رواية بريئة من الغزل المزعوم للقيم الأوروبية. من الحوار المتمدن https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=638564.

حبر. (2019). من موقع حبر مؤسسة إعلامية ومجلة الكترونية https://2u.pw/eJZbVO.

سدر، س. (د.ت). من موقع خير جليس. موقع مستقل. https://2u.pw/sLFeBB.

References

Abu Shaar, A. (1997). *My Experience with the Short Story*. Jordan, Amman: Royal Cultural Centre.

Jabbar, F. (1998). *Alienation: Hobbes, Locke, Rousseau, Hegel, Feuerbach, Marx*. (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar Al-Farabi.

Abbas, F. (2008). *Alienation: Contemporary Man and the Misery of Consciousness*. (1st ed.). Beirut: The Lebanese Manhal House.

Zayed, P. (1988). *The Concept of Time and Its Significance in the Contemporary Arabic Novel*. (1st ed.). Tunisia: Arab Book House.

Shaaban, B. (1999). *One Hundred Years of the Arab Women's Novel 1899-1999*. (1st ed.). Beirut: Dar Al-Adab.

Oweidat, A. (2001). *Laland's Philosophical Encyclopedia*. (2nd ed.). Paris: Dar Beirut.

Ranciere, J. (2012). *The Politics of Literature*. (1st ed.). Beirut, Lebanon: Center for Arab Unity.

Abbas, J. (2020). Alqara al-Dhimnii fi Risalat al-Tawabie wa al-Zawabie li Ibn Shahid Al-Andalusi. *Dirasat Journal for Humanities and Social Sciences*, 47(9).

Ahmed, P. (2019) *The Ladies of the Moon: An Innocent Novel of the Alleged flirting with European values*. From the civil dialogue, https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=638564.

Hiber. (2019). *From the website of Hiber, a media organization and an electronic magazine*. https://2u.pw/eJZbVO.

Sidr, S. (n.d). From the site of Khayer Jelees. Independent site. https://2u.pw/sLFebb.